مفهوم البناء ومستوياته في اللسانيات العربية الحديثة

The Concept of *Binā´* and its Levels in Contemporary Arabic Linguistics

جهاد براهيمي*
جامعة الجزائر 2
djihad.brahimi@univ-alger2.dz

عبد المجيد سالمي
جامعة الجزائر 2
abdelmadjid.salmi@univ-alger2.dz

الملخص:

يتناول هذا المقال أحد المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها اللسانيات العربية الحديثة وهو مفهوم البناء؛ هذا وقد أبرز الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح أهمية هذا المفهوم في ربط الوحدات اللغوية في جميع المستويات مستندا في ذلك إلى دراسته العلمية العميقة للتراث النحوي العربي القديم وقراءته للنظريات اللسانية الغربية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العربية، المستويات اللسانية، البناء، التحليل اللفظي، التحليل المعنوي.

* **المؤلف المراسل**

Abstract :

This article deals with an important concept of Arabic linguistics which is the *binā'* as defined by Abderrahman Hadj Salah on the basis of his study of Arabic grammatical tradition and his knowledge of modern western linguistic theories. The concept of *binā'* is defined at each linguistic level according to the upon the relation between the linguistic units of which hadj salah has concluded from this grammar with the aid of modern linguistics and linked to it its units between them by the concept of construction through all the levels.

Keywords : Arabic linguistics, linguistic levels, *binā',* semiological analysis, semantic analysis.

مقدمة:

تهتم اللسانيات الحديثة بتحليل مستويات اللسان ووحداته، إذ تحتاج هذه الوحدات إلى منطلقات فكرية وأسس منهجية للتعرف عليها، وفصل بعضها عن بعض وبيان طبيعتها.

ولكل لسان طبيعي وجهان في المنطلق: وجه نظري يستند إلى جملة من المواضعات يسمى في اصطلاح اللسانيين العرب "الوضع" ووجه أدائي يظهر في مداج الكلام تحقيقا ينسب إلى المتكلمين بذلك اللسان يسمى "الاستعمال".

ويقوم النظر إلى اللسان الذي هو موضوع الدراسة اللسانية من عدة أوجه على منهجين أحدهما النظر إلى قضايا اللسان العربي من جهة اللفظ والآخر هو النظر إليها من جهة المعنى وهما يختلفان اختلافا كبيرا، قال الحاج صالح: "ومن ثمّ جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى"[1]. ومعلوم أن قضية اللفظ والمعنى قد شغلت اللغويين والنحاة والنقّاد لفترة طويلة.

وبيّن الحاج صالح كلامه بعد ذلك قائلا: "وأعني بذلك أنّ اللفظ إذا حُدّد أو فُسّر باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى فالتحليل هو تحليل معنوي (Analyse sémantique) لا غير."[2] ثم يعرض الوجه الآخر للتحليل المنهجي فيقول: "أمّا إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل لفظي نحوي (sémiologico-grammatical) "[3].

ولا يكتفي بالبيان والتوضيح في هذه المسألة بل يذهب إلى التحذير من الخلط بين المنهجين، إذ يمكن أن يؤدّي ذلك إلى أخطاء وإلى تقصير فيقول: "والتخليط بين هذين الاعتبارين يعدّ خطأً وتقصيرا. وذلك كالاقتصار على تحديد الفعل بأنه "ما دلّ على حدث وزمان" فهذا تحديد على المعنى فهو جيّد، ولكنّه من جهة نظر المعنى. أمّا التحديد على اللفظ فهو "ما يدخل عليه من زوائد معيّنة كقد والسين ويتصل به الضمير في بعض صيغه"[4].

وأقام على ذلك أولويّة اللفظ على المعنى فقال: "وقد بنى على ذلك النحاة أن اللفظ هو الأوّل، لأنه هو المتبادر إلى الذهن أوّلا، ثمّ يفهم منه المعنى، ويترتّب على ذلك أنّ الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله وهو الأصل الذي ليس فيه زيادة، ولا علامة له بالنسبة إلى ما يبنى عليه"[5].

وتختلف النظريّات اللّسانية باختلاف نظرتها إلى اللسان البشري من حيث المنطلقات الفكرية والأسس العلمية المنهجية والأهداف المتوخّاة من تحليل الظواهر اللسانية وتفسيرها والتعرّف على وحداتها، وتقطيعها في الأداء اللساني بالاستناد إلى هذه الأسس النظرية.

نحاول في هذه الورقة أن نبيّن مفهوم البناء بوصفه أحد المفاهيم العلمية الأساسية المعتمدة في اللسانيات العربية التي أسّسها الحاج صالح مستندا إلى التراث اللساني العربي ومستعينا بما قرأه من النظريات اللسانية الغربية استيعابا ونقدا.

فالبناء الذي نتناوله يستهدف تفسير طبيعة العلاقات بين الوحدات اللسانية في مختلف المستويات اللفظية البنوية: الصوتية منها والإفرادية والتركيبية وفي مستوى التعليق (ما فوق التركيب) وقد تشمل المستوى النصي إذا ما قُدِّر لهذه النظرية (نظرية الحاج صالح) أن تتطوّر وتتوسع على أيدي تلامذته.

1. البناء لغة:

البناء في اللغة: "البناء المبنيّ والجمع أبنية. قال ابن الأعرابي: البُنى الأبنية من المدر أو الصوف. يقال كأنّ البنية الهيئة بني عليها"[6]. ويطلق البناء على ما يبنى للسّكن من آجرّ وطين وجصّ، ومن موادّ جديدة، في الوقت الحاضر وترد الأبنية بمعنى بيوت العرب، ولها أسماء أخرى كالخباء مثلا. ومن معاني البناء المجازية، ما ذكره لبيد:

فبنى لنا بيتا رفيعا سُمكه ... سما إليه كهلُها وغلامُها[7].

2. مفهوم البناء في الاصطلاح:

من هذه المعاني اللغوية أُخذ معنى الهيئة والصورة والشكل في استعمال النّحاة، ولمصطلح البناء مفاهيم أخرى تختلف فيما بينها في التراث اللّغوي العربي بحسب مجالات الحديث والسياقات التي وردت فيها ومقاصد النحاة. فالبناء في مقابل الإعراب مثلا ليس مقصودا في حديثنا، لأنّه حالة من حالات الكلِم المفرد. قال سيبويه في باب الإعراب والبناء: "الإعراب ضدّ البناء في المعنى ومثله في اللفظ، والفرق بينهما زوال الإعراب لتغيّر العامل وانتقاله ولزوم البناء الحادث عن غير عامل وثباته"[8].

ونريد في هذا السياق أيضا أن نبيّن مفهوم البناء كما جاء في مؤلفات الحاج صالح ومحاضراته اللسانية العلمية، وهو مفهوم استنبطه من النحو العربي كما

ورد في كتاب سيبويه وأتباعه حتى القرن السادس الهجري ودوّنه الحاج صالح في كتابه باللغة الفرنسية (الذي هو أصلا أطروحته التي دون فيها أفكاره ومجمل عناصر النظرية اللسانية العربية الحديثة التي سميت الخليلية)، وفي سلسلة كتبه في اللسانيات العربية وفي علوم اللسان عامة.

يقول الحاج صالح مبيّنا بوضوح تام المقصود بمفهوم البناء في النحو العربي: "البناء أن تجعل عنصرا لغويّا تابعا لعنصر لغويّ آخر بحيث إنهما يكوّنان عنصرا أوسع من مستوى أعلى، ولا يعاقِب أيّ واحد من العنصرين العلامة العدمية أي لا يمكن أن يحذف وإن حُذف لم يرجع العنصر الأوّل إلى أصله وزال عن الوجود"[9].

تبنى الوحدات النحوية المكوّنة للتركيب على بعضها ومن هنا جاءت تسمية سيبويه لوحدتي المبتدأ والخبر في التحليل اللفظي للكلام العربي "المبني والمبني عليه" وتختلف تماما عن تسميته لهما في التحليل الدلالي "المسند والمسند إليه". وكثير من اللغويين المحدثين يخلطون بين المنطلقين في التحليل اللساني العربي الأصيل.

ويضيف الحاج صالح لبيان الفرق بين التحليلين: "وأما في ميدان التركيب وبنية الجملة فقد لاحظوا أن العرب يفرّقون بين تركيبين المبتدأ والخبر والفعل والفاعل، (sujet-prédicat)"[10]. وهما في التحليل الدلالي مسند ومسند إليه.

أما في التحليل اللفظي فإن التركيب يجمع بينهما بشكل مختلف تماما إذ البنية اللفظية للكلام العربي هي مبني ومبني عليه فكل من المبتدأ والفاعل في موضع المبني عليه، وكل من الخبر والمفعول به أو ما يقوم مقامه في موضع المبني، ويكون بذلك الفعل وما يدخل على المبتدأ والخبر في موضع العامل.

تتصل الوحدات اللسانية وعناصر الكلم الدالة وغير الدالة الظاهرة منها والضمنية فيما بينها عن طريق البناء أو الوصل في جميع المستويات اللسانية.

إنّ ما نريد الحديث عنه في هذه الورقة هو البناء الذي يرجع في أصله إلى طبيعة العلاقة التي تربط بين الوحدات اللسانية في جميع مستويات التحليل، ويقابله الوصل بمعنى الإضافة (ajout) وليس الوصل الذي يقابله الوقف.

3. مستويات البناء:

1.2. المستوى الأول من البناء:

وفيه ترتبط وحدات اللسان بعلاقة اصطلح عليها في اللسانيات العربية بعلاقة

البناء وهو المستوى الذي نطلق عليه المستوى الصوتي أي اندراج الوحدات الصوتية أي مكونات المادة الأصلية في الصيغة المعينة ليحصل بذلك الكلم ويصير قابلا للاستعمال تبعا لمقاييس اللغة العربية مع مراعاة ما يحدث في هذه الحالة من تغيرات حادثة ترجع لأسباب مختلفة منها الصوتية أو غيرها. فالعلاقة بين هذه الوحدات في ارتباطها ببعضها هي علاقة بناء في هذا المستوى وهي أشد أنواع البناء إحكاما بحيث لو سقط حرف منها انهدم البناء أو تحول إلى بناء آخر. فالحرف هنا بمعنى الوحدة الصوتية (phonème) هو مفهوم مجرد يصير صوتا في الاستعمال، لأن العرب قديما يفرقون بين الأصوات والحروف فالأصوات في الاستعمال والحروف في الوضع وكان يقال عندهم الحروف في الخط إذا أرادوا المكتوب منها غير أن الأمر اختلف اليوم.

فعلاقة البناء في مستواها الأوّل وأشدّ أنواعه إحكاما تكون في مستوى الكلم أي اندراج الحروف الأصلية في صيغة بعينها تصير بذلك ذات معنى.

2.2. المستوى الثاني من البناء:

ويكون البناء في هذا المستوى بدرجة أقل من البناء الأول؛ كاتصال ضمائر الرفع بالأفعال مثل كتبتَ وكتبْنا وغير ذلك من أنواع العلاقات بين عناصر الكلم في مستوى الوضع، إذ لا يمكن أن نقوم بفصل التاء أو النون أو أي عنصر لفظي دالّ بني مع الفعل في صيغة واحدة لأن ذلك من شأنه أن يهدم الصيغة كلها. ولا يحسبن أحدنا أن البناء بهذا المعنى يقع في أحوال الفعل وحده وإنما يقع أيضا في علاقة الحروف ببعضها في صيغ الأسماء مفردة أو جمعا، لأنه لا علاقة لهذا المفهوم بأواخر الكلم.

ومن أمثلة علاقة الارتباط بالوصل بين الكلمات والدوال اللفظية اتصال ألف لام التعريف بالاسم المعرّف، واتصال حروف العطف والجر، وما شابه ذلك مما يمكن فصله دون أن يحدث أثرا في البنية، مما يدخل على النواة اللفظية ويخرج من مواضعها السابقة واللاحقة.

3.2. المستوى الثالث من البناء:

وفيه ترتبط الوحدات اللسانية فيما بينها في المستوى الإفرادي، وهي الوحدات التي تستقل في اللفظ، وتكون درجة ارتباطها أقلّ شدة من المستوى الثاني، ويدخل في هذا الباب المركب العددي والنحتي والمزجي ومركب المنفي بلا والمختزل النحتي. وقد

ثبت ذلك عن النحاة الأوائل. قال ابن جني: "اِعلم أن "لا" تنصب النكرة بغير تنوين مادامت تليها، وتبنى معها على الفتح كخمسةَ عشرَ"[11].

والظاهر أن العلاقة في التركيب بين الكلمتين تبدو من باب البناء المقابل للإعراب، لكنها في حقيقتها وإن أشارت إلى ذلك فهي توحي بالعلاقة البنائية بينهما، وأما ما بين أجزاء الكلمات أو بين أوائلها نطقا في كلمة متصلة أو في نطق أوائلها ذاتها منفردة فالعلاقة شبيهة بالعلاقة بين الحروف في تكوين الكلمات، لذلك حملت عليها.

ويسهل الأمر بالنسبة لهذه الظاهرة في اللغات الأخرى غير العربية ويصعب في العربية لجدتها، لذلك نلجأ فيها إلى اتباع طريقة اللغات الأخرى فيقال (ام ال دي) عوض (لام ميم دال) وهو الأصوب والأنسب لنظام اللغة. كما يقال (عدل) بنطق أوائل كلمات الفرنسية مع تحريف بسيط، والأصح أن نستل من كلمات العربية حروفا تجمع في كلمة تؤدي الغرض، لكن ذلك يحتاج إلى اجتهاد اللغويين.

4.2. المستوى الرابع من البناء:

ويربط هذا النوع من البناء بين وحدتين نحويتين المبني والمبني عليه كما ورد ذلك عن سيبويه في التحليل اللفظي النحوي. يقول الحاج صالح: "أما عند العرب فلهم تبعيتان تبعية بناء وتبعية وصل واعتمدوا في هذا التمييز على أنّ الارتباط الذي يربط بين الاسم وما يدخل عليه ليس مثل الارتباط الذي يوجد بين المبتدأ والخبر مثلا"[12]، أي أن العلاقة بينهما علاقة بناء غير علاقة الوصل التي تربط بين العناصر التي تدخل على نواة اللفظة في المواضع قبلها وبعدها. ويوضح ذلك بقوله: "وفي مستوى التركيب بعض العناصر مبنية على أخرى"[13]. ويضرب أمثلة على دخول العناصر اللفظية قبل النواة وبعدها في تكوين اللفظة، يقول: "أمّا الوصل فهو السائد في داخل اللفظة أي بين (ال) وما تدخل عليه أو (المضاف والمضاف إليه)، وقد يوجد الوصل في داخل التركيب فيما يخص المخصّص (الحال والمفاعيل غير المفعول به)"[14].

ثم إنّ هذه المواضع حول النواة التي تكوّن معها اللفظة قد تكون فارغة وهو ما يسميه سيبويه "الخلو من العلامة أو تركها"[15]. ويطلق عليه الحاج صالح: "العلامة العدمية (expression zéro)"، وهي التي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر، وذلك كجميع العلامات التي تميّز الفروع عن أصولها (المفرد/الجمع/ المذكّر) في مقابل (الجمع، المثنى/ المؤنّث/المصغّر)[16].

ويمثّل الحاج صالح لهذه العلاقات القائمة بين الوحدات والعناصر داخل البنية وما يسميه (المثال) (schème) بما يأتي:

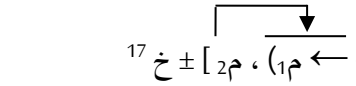

[(ع ← م1) ، م2] ± خ [17]

5.2. المستوى الخامس من البناء:

وهو ما يسميه النحاة بمستوى التعليق أي علاقة الجملة بجملة أخرى ترتبطان فيما بينهما في البنية وتكملان إحداهما الأخرى في الإفادة. يقول الحاج صالح: "ويوجد مستوى تركيبي آخر أعلى من هذا (يقصد مستوى التركيب)، وهو مستوى التصدير وما فوق العامل فإن هناك أدوات تدخل على بنية العامل والمعمولين والمخصص، ويعني أنّ هناك موضعا آخر يتجاوز هذه المواضع"[18].

ويتكوّن هذا المستوى من بنيتين تبنى إحداهما على الأخرى كما بنيت الوحدة النحوية في التركيب السابق على بنية مثيلة لها. ويضيف الحاج صالح مفصّلا المسألة تفصيلا يبيّن فيه مكوّنات هذا المستوى من البناء، قال نقلا عن النحاة الأوائل: "وقد لاحظوا أنّ لهذه الأدوات الصدارة المطلقة، فإنّ هذه الأدوات (المسماة بحروف الابتداء) عوامل توجد في مستوى أعلى إذ إنّها تتحكّم في كل ما يوجد تحتها ولا يكون لها بالضرورة عمل على ما تدخل عليه"[19].

وذكر أمثلة من هذه الأدوات ذات الصدارة، تدخل على المبني عليه من هذا المستوى ولا تعمل فيه كما لا تعمل في المبني، وهي أدوات الاستفهام في مقابل عدم وجودها في الإثبات والتوكيد وغيرهما، وأدوات الشرط التي تدخل على فعل الشرط فتجزمه كما تجزم جوابه غير أنها لا تعمل في جملة الشرط ولا في جملة جوابه في مستوى التعليق، وإنّما تربط بينهما برباط البناء من هذا المستوى.

ويدخل مجمل ما ذكرناه من مستويات البناء في مجال التحليل على اللفظ. ويقابله في مجال التحليل على المعنى تحليل من طبيعة مختلفة. يقول الحاج صالح: "وأما مجال المعنى فيعتقد الخليليون أن المعاني تنقسم أيضا إلى أصول وفروع، فأمّا الأصول فهي التي تتحدد بدلالة اللفظ ليس إلاّ وهي من معطيات المواضعة (données sémiologiques) الخاصة بلغة من اللّغات في زمان معيّن من تطوّرها"[20]. وأما الفروع فهي المعاني التي تتحدّد بدلالة غير لفظية مثل دلالة الحال ودلالة المعنى

وغيرهما، وهي تتفرع عن الأولى بعمليات تحويلية من جنس العمليات العقلية وميدان دراستها هو البلاغة؛ كعلم المعاني وهو تتبّع خواص التراكيب في الإفادة، وعلم البيان وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة كما حدده القدماء.

فالبلاغة في مظهرها الأوّل من حيث الدلالة هي امتداد لعلم النحو من حيث اللفظ، وذلك لأنها تنظر في كيفية استعمال الفرد لمعاني النحو، كما يقول الجرجاني وهي المعاني التي تدل عليها كل الوجوه التي يقتضيها النحو. أمّا في مظهرها الثاني فهي تنظر في التحويلات التي تربط بين المعنى الوضعي والمعنى المقصود في سياق الحال إذ هي من جنس العمليات المنطقية العقلية (المنطق الطبيعي وليس المنطق الصوري كما يقول الحاج صالح).

خاتمة:

إنّ الحديث عن المفاهيم الأساسية في النظرية اللسانية العربية الحديثة التي تسمى عند الحاج صالح وتلاميذه بالخليلية نسبة إلى قدماء النحاة وعلى رأسهم الخليل وتلميذ سيبويه لا يكاد ينتهي؛ إذ يتطلب العودة إلى كتب القدماء من النحاة واللغويين وكتب الحاج صالح ومقالاته ليتمكن الباحث من بيان أسس هذه النظرية وأبعادها الإبستيمولوجية والمعرفية والمنهجية وليستخرج منها ما من شأنه أن يفيد اللسانيين ويدفع بهم خطوات للنهوض باللغة العربية في جميع مباحثها ويفتح آفاقا واسعة للإجابة عن كثير من الإشكالات المطروحة في هذا الميدان، ويشجع الباحثين على البحث في القضايا التي لازالت عالقة فيما يهم اللغة العربية، وعسى الله أن يسخّر لذلك رجالا يزيدون البحث فيها عمقا ووضوحا.

الإحالات والهوامش :

[1] الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم، 2012، ص 218.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، ص 219/218.

[5] المرجع نفسه، ص 219.

[6] ابن منظور، لسان العرب، باب الواو والياء فصل النون.

[7] المرجع نفسه، الباب نفسه والفصل نفسه.

[8] ابن جنّي، اللمع في العربية، ص 25.

[9] الحاج صالح، النظرية الخليلية: مفاهيمها الأساسية، كراس المركز ع 4، 2007، ص 35.

[10] الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 192.

[11] اللمع لابن جني، ص 25.

[12] الحاج صالح، دراسات وبحوث في اللسانيات العربية، ج1، ص222.

[13] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[14] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[15] سيبويه، الكتاب، ج1، ص7 و340.

[16] الحاج صالح، منطق العرب في علوم اللسان، ص 191.

[17] الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 224.

[18] المرجع نفسه، ص 225.

[19] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[20] المرجع نفسه، ص 228.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

1- إبرير بشير، اللسانيات العربية وأبعادها المعرفية في كتابات عبد الرحمن الحاج صالح اللسانية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، 2021. (تحت الطبع)

2- ابن جني، اللمع في العربية، تحقيق سميح أبو مغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 1988.

3- ابن منظور، لسان العرب، الطبعة1، دار صادر الطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.

4- الحاج صالح عبد الرحمن، السماع العلمي العربي والفصاحة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم)، الجزائر، 2012.

5- الحاج صالح عبد الرحمن، اللسانيات الخليلية: مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، العدد 4، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، 2007.

6- الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزءان 1 وَ2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم)، الجزائر، 2012.

7- الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم)، الجزائر، 2012.

8- الحاج صالح عبد الرحمن، منطق العرب في علوم اللسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم)، الجزائر، 2012.

9- سيبويه، الكتاب، الأجزاء 1-5، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي، الرياض، 1982.

المراجع باللغات الأجنبية:

1- Abderrahmane Hadj Salah, Linguistique arabe et linguistique générale. Essai de méthodologie et d'épistémologie du Ilm al Arabiyya.- 3 Tomes, Enag, Alger, 2008.